

فيروسات قهرت البشرية وبدلت مسارها "كورونا": العالم يحبس أنفاسه قلقاً

أثار فيروس كورونا الجديد هلعاً واسعاً حول العالم في الأسابيع الماضية، بعدما أوقع الآلاف الضحايا من قتلى ومصابين. إلا أن شواهد التاريخ تقول لنا أنه، حتى الآن، يبدو محدود الخطر مقارنة بفيروسات أخرى قهرت البشرية عبر التاريخ، وذهب ضحيتها ملايين الأشخاص والحققت خراباً هائلاً بمجتمعات وشعوب، وغيرت مصائرنا

تجاوز عدد ضحايا فيروس كورونا الجديد المئات، خصوصاً في الصين، بينما سجلت إصابات وصلت إلى عشرات الآلاف حول العالم. بدأت الحكاية عندما تلقت منظمة الصحة العالمية في 31 كانون الأول 2019، إنذاراً بوجود حالات التهاب رئوي متعددة في مدينة ووهان الواقعة في إقليم هوبي في الصين، وتبين أن سمات الفيروس لا تتطابق مع فيروسات أخرى معروفة للأطباء حتى الآن.

كان على العالم أن ينتظر حتى 7 كانون الثاني 2020، لتؤكد عاصمة الصين بيجينغ أنها تواجه فيروساً جديداً سمي فيروس كورونا المستجد، وأنه ينتمي إلى فصيلة فيروسات تسبب نزلات البرد المتعارف عليها ومتلازمة سارس ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية، وأنه ينتقل من طريق الجو في حالات التنفس والعطس والسعال، ما دفع منظمة الصحة العالمية إلى إعلان حالة الطوارئ العالمية بعد ثبوت تسلسله إلى عدد من دول العالم.

لعل وباء الموت الأسود من بين الأكثر شهرة على مستوى العالم، وقد ضرب مناطق عدة وشاسعة في القرن الرابع عشر، وهو طاعون تسببت به بكتيريا اليرسينيان واودى خلال سنواته الطويلة بأرواح 75 مليون إنسان، غالبيتهم في أوروبا. فقد انطلق من الصين أو آسيا الوسطى وانتقل مع التجار والمحاربين على طول طرق التجارة الدولية وقتها إلى شبه جزيرة القرم والقسطنطينية وغرب أوروبا وشمال إفريقيا، ودمر خلال اجتياحه مدناً عدة، وظل يعصف بأوروبا عبر موجات من الطاعون بلغت أكثر من مئة موجة وصولاً إلى القرن الثامن عشر.

يرصد العلماء العديد من الأوبئة التي ضربت أنحاء العالم حتى قبل سنوات طويلة من الميلاد. في مصر الفرعونية مثلاً، أصابها في العام



تدبير وقائي.

فيروس كورونا

بحسب منظمة الصحة العالمية، فإن فيروسات كورونا هي فصيلة فيروسات واسعة الانتشار يعرف أنها تسبب أمراضاً تتراوح من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد حدة، مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية، ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (السارس). هذا الفيروس المستجد هو سلالة جديدة من الفيروس لم يسبق اكتشافها لدى البشر.

فيروسات كورونا حيوانية المنشأ، أي أنها تنتقل بين الحيوانات والبشر. وقد خلصت الاختبارات إلى أن فيروس كورونا المسبب لمرض سارس، انتقل من قطط الزباد إلى البشر وأن فيروس كورونا المسبب لمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية، قد انتقل من الإبل إلى البشر. ثمة أنواع عدة معروفة من فيروسات كورونا تسري بين الحيوانات من دون أن تصيب عدواها البشر حتى الآن.

تشمل علامات العدوى الشائعة: الأعراض التنفسية والحمى والسعال وضيق النفس والصعوبة في التنفس. في الحالات الأشد، قد تسبب العدوى الالتهاب الرئوي والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة والفشل الكلوي وصولاً إلى الوفاة.

تشمل التوصيات النموذجية لمنع انتشار العدوى، غسل اليدين بانتظام، تغطية الفم والأنف عند العطس والسعال، طهو اللحوم والبيض بشكل كامل. يتعين كذلك تجنب مخالطة أي شخص تظهر عليه أعراض الأمراض التنفسية كالسعال والعطس.

ميلادية، واشتق اسمه من عائلة الامبراطور الروماني ماركوس أوريليوس انطونينوس الذي مات بالمرض كسلفه الامبراطور لوسوس، ويعتقد أنه تفش للجدرى أو الحصبة التي حملها الجنود الرومان العائدون من حملات الغزو في الشرق الأدنى. وكان نحو ألفي شخص يموتون يومياً بسببه، واودى بأرواح خمسة ملايين إنسان، إذ تفشى مجدداً بعد تسعة أعوام وحصد أرواح ثلث سكان مناطق الامبراطورية، ودمر الجيش الروماني نفسه.

1650 قبل الميلاد طاعون ديلي وانفلونزا النزلة الوافدة التي اودت بأرواح كثيرين. هناك أيضاً طاعون أثينا الذي سببته الحمى التيفية وضرب المدينة في العام 430 قبل الميلاد. يعتقد بعض المؤرخين أنه أثر الحرب التي كانت دائرة بين أثينا وحلفائها الذين كانوا على وشك الانتصار، وبين إسبارطة وحلفائها، ومهد لسيطرة المقدونيين لاحقاً على اليونان.

يستعد أيضاً في هذا الإطار وباء عرف باسم الطاعون الانطوني الذي ظهر في العام 165

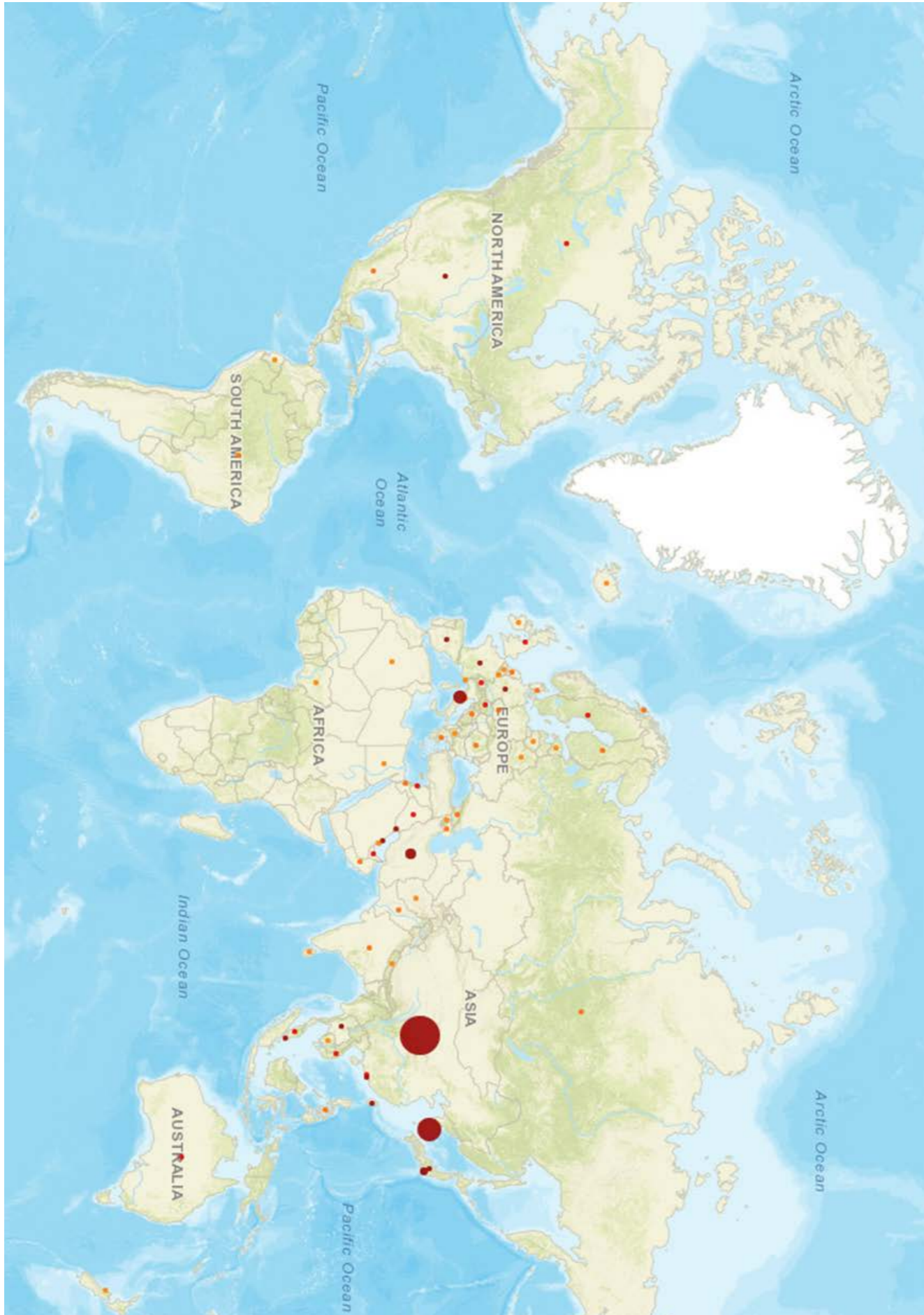
ثمة موجات لا تحصى من الفيروسات والأوبئة التي اجتاحت حياة البشر. في العام 1770 ضربت موسكو بالطاعون، وتسبب بالإضافة إلى فناء كثيرين، إلى أعمال شغب وقلقل اجتماعية لكثرة ما أحدثت من خسائر وموت. في العام 1852، انتشر وباء الكوليرا الثالث والذي وصف بأنه الأكبر في العالم، ويعتقد أنه نشأ في الهند ومنها انتشر إلى العالم. في العام 1855، ظهر وباء الطاعون الثالث في إحدى مقاطعات الصين، وتواصل لعشرات السنين وعبر موانئها انتقل إلى أنحاء مختلفة من العالم عبر الفئران المعدية، ويعتقد أنه تسبب في موت 10 ملايين إنسان في الصين والهند فقط حتى خمسينات القرن العشرين.

لا يقف الأمر هنا. إذ قتل طاعون ميلان في العام 1629 نحو 280 ألف شخص في مدينتي لومباردي والبندقية التي خسرت الكثير من حضورها ودورها الإقليمي الواسع. أما في مدينة فيرونا، فقد فقدت 33 ألفاً من أهلها، أي نحو 60% في سكانها. في مدينة ميلان، توفي فيها 60 ألف شخص من سكانها الذين كان عددهم 130 ألف نسمة.

يعتقد أن طاعون لندن العظيم قتل 100 ألف من أهلها في العام 1665، أي ما يعادل خمس سكانها في ذلك الوقت، وذلك بسبب بكتيريا اليرسينيا الطاعونية التي تنتقل من طريق البراغيش. قبل ذلك بكثير، وتحديدًا في العام 541 أصيبت القسطنطينية بوباء الطاعون، وقد كان شديد التدمير إلى درجة أنه توسع إلى وسط وجنوب آسيا وأوروبا وصولاً إلى الشمال نحو الدانمارك وغرباً إلى أيرلندا. بسببه، كان خمسة آلاف إنسان يموتون يومياً في القسطنطينية، في حصيلة وصلت إلى 40 في المئة من سكان عاصمة الامبراطورية البيزنطية، وربع سكان مناطق شرق البحر الأبيض المتوسط.

ان النظرة السابقة على بعض الأوبئة التي أصابت الإنسان، تجعل المرء يعتبر أن فيروس كورونا الجديد مجرد نزهة بسيطة. تعزز هذه الفكرة نظرة سريعة أيضاً على أوبئة الانفلونزا التي أصابت البشرية خلال القرن العشرين. وباء الانفلونزا في العام 1918، وصف بأنه الأكثر تدميراً في التاريخ، حيث يعتقد أن ضحاياه وصلوا إلى نحو 40





الامراض الوبائية

تشمل لأثحة الامراض الوبائية وفق منظمة الصحة العالمية: الجمرة الخبيثة، انفلونزا الطيور، حمى الضنك وحمى الضنك النزفية، مرض فيروس ايبولا، العدوى بفيروس هيندرا، حمى القرم - الكونغو النزفية، التهاب الكبد، الانفلونزا، الجائحة (H1N1)، حمى لاسا، مرض ماربورغ الفيروسي، التهاب السحايا بالمكورات السحائية، العدوى بفيروس نيباه، الطاعون، حمى الصادع، المتلازمة الرئوية الحادة الوخيمة (سارس)، الجدري، تولارمية (حمى الارانب) والحمى الصفراء.



مستشفى ميداني في الولايات المتحدة عام 1918 لعلاج المصابين بالانفلونزا الاسبانية.



لوحة تصور الزهراوي الطبيب المسلم يفحص احد المرضى في بيمارستان في قرطبة.

مليون انسان. في العام 1957 جاءت الانفلونزا الاسبوعية المنتقلة من الطيور التي اودت بحياة مليوني شخص. ثم جاءت موجة جديدة من الانفلونزا في العام 1968، انطلقت من هونغ كونغ وتسببت في موت نحو 4 ملايين انسان، بعدما امتدت الى الهند والفلبين واستراليا وبريطانيا واليابان وشرق اوربا وجنوب القارة الاميركية وافريقيا، ثم الى الولايات المتحدة التي انتقل اليها الفيروس من خلال الجنود الاميركيين العائدين من حرب فيتنام.

في الختام، يمكن القول انه عبر الاف السنين، لا تزال الفيروسات السبب الابرز لوفاة الانسان، وتتخطى حصيلتها ضحايا الحروب وكل اسباب الوفاة الاخرى. لكن الانسان، وان كان في حالة صراع معها، فانها تعتبر جزءا من التكوين الطبيعي للحياة واستمرارها. فهي تسمح بالانتقال الطبيعي للجينات والتنوع الجيني، وتساعد في مجال علم الوراثة لفهم الجينات والحمض النووي وفي قتل البكتيريا. كما تساهم في التوازن السليم للنظم الايكولوجية المائية، بينما يأمل العلماء في استخدام الفيروسات في علاج السرطان وعدد كبير من الامراض الوراثية. لكن كل ذلك لن يبدل حقيقة ان الفيروسات جارنا الضئيل جدا في هذه الحياة لا يؤمن جانبه، فالتاريخ علمنا هذه الحقيقة بكثير من الضحايا.

انتقال الامراض

يمكن ان تنتقل الامراض المعدية بسبب العوامل الآتية:
البكتيريا: هذه الكائنات الوحيدة الخلية مسؤولة عن حصول امراض مثل التهاب الحلق العقدي، وعدوى الجهاز البولي، والسل.
الفيروسات: كائنات اصغر من البكتيريا تسبب العديد من الامراض التي تتراوح من نزلات البرد وصولا الى الايدز.
الفطريات: يحصل بسببها العديد من الامراض الجلدية مثل السعفة والقدم الرياضي. بينما يمكن ان تسبب انواع اخرى من الفطريات عدوى في الرئتين او الجهاز العصبي.
الطفيليات: تؤدي الى الاصابة بالمalaria نتيجة التعرض لطفيل صغير للغاية ينتقل من طريق لدغة البعوض، بينما قد تنتقل بعض الطفيليات الاخرى الى الانسان عبر فضلات الحيوانات.